

## رؤية وتحليل وموقف : الداعية المسلم وعالم اليوم

بقلم أ. المنذر بن سعيد

تغيرات تعصف بعالم المسلمين اليوم في المنطقة العربية تدعونا للإجابة على أسئلة مهمة !!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وبعد

● تبني العلاقة بين الله والإنسان في دين الله على أساس ( ألوهية واستخلاف ) ، فالله هو الحي القيوم ، لا إله إلا هو ، خلق الإنسان مكرماً مفضلاً وسخر له ما في السموات والأرض ليقوم بدوره كمستخلف مؤتمن منضبط بهدي الله تعالى ، فيعلن عبوديته لله وحده في كل أمور حياته حفظاً لنظام العالم من الفساد وطلباً للسعادة في المعاد .

● قال تعالى " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا " الأحزاب 21 ... ذكر القرآن الكريم مهمة الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " الجمعة 2 ، وذكر على لسانه السبيل لتحقيق ذلك فقال " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ " يوسف 108 . فمن مهمته أنه كان يعلم أصحابه الحكمة ، لأن كل مؤمن سيواجه تحديات تدفعه لإعطاء تصور ينبثق عنه موقف وعمل ، فمن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وكان يعلمهم أن الحكم على الشيء فرع من تصوره ، لذا جعل البصيرة ( فقه الواقع ) من شروط الاتباع ... من هنا فاجتهدنا ينبغي أن ينضبط بالمحاور الكبرى التي بنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحركه لتحقيق مهمة هذا الدين .

● السؤال الأول : متى يحدث التغيير الاجتماعي ؟

يحدث التغيير بإحدى هذه العوامل أو باجتماعها :

## 1. السنن الإلهية والتغيير :

- إن الحياة الكريمة للإنسان على الأرض والتفضيل الإلهي له بالعلم والاختيار مقصد من مقاصد الخلق ، وإن الاعتداء عليهما بشكل جمعي يستتزل التغيير " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا " الإسراء 16 ،
- وإن الإفساد في الأرض يستنزل التغيير " نَثَلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " القصص 3- وأورث- سبحانه- الأرض قوماً آخرين " كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْفَ كَذَلِكِ وَأُورَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ " الدخان 25 - 28
- كما يستنزل التغيير بسواد الظلم " وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ " القصص 59 ، لا يوجد المقترون بالإصلاح " وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ " هود . 117

## 2. الأمة وإرادة التغيير :

الأمة هي مجال عمل الأنبياء والمصلحين على مدار التاريخ البشري " فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا " نوح 10 - 12 . " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ " الرعد 11 ، " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " الأنفال 53 . " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ " المائدة 24-26 ، فقد وجدنا أن منهم من نجح في مهمته وحدث في حياته التغيير على كل المستويات : على مستوى الإيمان والأخلاق ، وعلى مستوى السلوك والمعاملات ... فخرجت خير أمة ، ومنهم من يأتي يوم القيامة ومعه النفر قد حدث التغيير على مستوى هام لكنه غير كاف لخروج أمة ، ومنهم من يأتي ليس معه أحد ...

## 3. كيد حزب الشيطان ودوره في الوقوف في وجه الشعوب ورغبتها في التغيير : " قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي

لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ " الحجر 39-40 " وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا

النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " سبأ 33 ، " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ " الأنفال 36 ، " أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَىٰ الْكُذْبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ .... اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ " المحادلة 14 ، 19

### 1. السؤال الثاني : ما هي مهمة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ؟

- 1) الحوار مع الإنسان ليعلم أنه لا إله إلا الله
- 2) توجيه الإنسان لآيات الآفاق والأنفس من خلال الرؤية القرآنية
- 3) الدعوة والتربية على مستوى الأمة المسلمة وذلك :
  - بتأكيد المشروعية العليا في حياة الأمة للإسلام
  - بالتزكية على مستوى الفرد والمجتمع والأمة
- 4) الارتقاء بالأمة المسلمة لتكون شاهدة على الناس وذلك :
  - يربط الأمة بمقاصد الدين
  - بتحريض الفرق التخصصية في الأمة ( التعليمية ، الاجتماعية ، المالية ، الصحية ، السياسية ، العسكرية ، ... ) لينفر منها تلك الطوائف التي ستكون الأمة المفلحة
- 5) العمل على استعادة الإنسان حريته وكرامته ، ضمن منظور البر والقسط : وذلك بالتعاون مع الأطراف الأخرى لما فيه خير الإنسانية بصورة عامة .

### السؤال الثالث : كيف تتحقق هذه المهمة ؟

- يرتبط اختيار الوسيلة بالأولويات والقدرات والمهارات فلا ينبغي لداعية مسلم أن يبدأ عملاً قبل أن يرى دوره وموقعه وأولوياته
- أولاً : هل دوري أن أكون عضواً في مؤسسات تقوم بالحوار مع الإنسان ليعلم أنه لا إله إلا الله ( مراكز دراسات الحوار والتعارف ) ...
- ثانياً : أم هل دوري وقدراتي وأولوياتي أن أكون عضواً في مؤسسات تعمل على توجيه الإنسان لآيات الآفاق والأنفس من خلال الرؤية القرآنية .

ثالثاً : أم هل دوري في مؤسسات الدعوة والتربية التي تعمل على تزكية الأمة المسلمة

- مؤسسات تعمل على تأكيد المشروع العلية في حياة الأمة
- مؤسسات تعنى بالتركية على مستوى الفرد والمجتمع والأمة .
- رابعاً : أم هل دوري في مؤسسات تعمل على الارتقاء بالأمة المسلمة لتكون شاهدة على الناس :  
■ مؤسسات تعمل على ربط الأمة بمقاصد الدين .
- مؤسسات تعمل على تحريض الفرق التخصصية في الأمة ( التعليمية ، الاجتماعية ، المالية ، الصحية ، السياسية ، العسكرية ، ... ) لينفر منها تلك الطوائف التي ستكون الأمة المفلحة
- خامساً : أم أن دوري العمل مع مؤسسات تعمل على تحقيق حرية الإنسان وكرامته، ضمن منظور البر والقسط ، والوقوف ضد الطغيان والظلم ومناهضة الاستبداد بكافة مظهراته واجتراح الآليات التي تعمل على تأمين أجواء الحرية ، والدعوة كلمة والكلمة بحاجة أن تتنفس أجواء الحرية كي تصل إلى مقصدها ،  
فعلى كل مكلف أن يحدد أولوياته ويعمل وفقها

● لقد حدث تغير في علاقة أمتنا بالله تعالى من حب والتزام يدفع على القيام بأمر هذا الدين إلى تقلص مفهومه وانحصاره في الشكليات والطقوس - هذا على العموم - ، ووقعت أمتنا المسلمة في شراك العجز والوهن بعد أن عملت معاول الهدم الداخلية عملها - كغياب مقاصد الشريعة عن ضبط الأحكام وغياب الاجتهاد والترعة الإبداعية على المستوى الفكري والعملية وسيادة الفكر الصوفي المنحرف والفكر الإرجائي - بدل أن تتحقق فيها الكفاية وحب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما حدث تغير في ثقافة أمتنا المسلمة من ثقافة شهود ووسطية إلى ثقافة انهزام وتبعية على المستوى الفكري والعملية على حد سواء بسبب من معاول الهدم الخارجية كالغزو الثقافي والاستعماري .

السؤال الرابع : بناء على ما سبق ما هي رؤيتنا ، وتحليلنا ، وموقفنا من الأحداث الجارية في سورية ؟

رؤية : الإنسان حر في التفكير والاعتقاد والتعبير

- (1) خلق الله تعالى الإنسان مكرماً مفضلاً بالعلم والاختيار ، وسمى كل من يعتدي على إنسانيته فاسقاً ، وأنه سبحانه سيذيق الفاسق من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعله يرجع عن طغيانه .
- (2) وبعد معاناة البشرية من الظلم والطغيان تداعت لإعلان حقوق الإنسان ، وسطر دستور الدولة الحديثة - بمجالسها التشريعية - ذلك تحت عناوين حرية الإنسان في التفكير والاعتقاد والتعبير ، وتحت عنوان تحقيق العدل والمساواة ، وتحقيق الأمن الغذائي والصحي ... وأوكل إلى السلطة التنفيذية تطبيق ذلك لا الوصاية عليه وتعطيله .

3) من حق الناس عندما لا تتحقق متطلباتهم الأساسية التي كفلها لهم الدستور أن يعبروا للسلطة عن مطالبهم بشتى وسائل التعبير السلمية ، وعلى السلطة أن تحقق هذه المطالب وإلا فقدت شرعيتها

تحليل : هل هذه الرؤية متحققة في الواقع السوري ؟

1. بعد مسلسل الانقلابات العسكرية وصل حزب البعث إلى السلطة ، وبعدما أعلن حالة الطوارئ بدأت مصادرة الحريات بكل مظاهرها من إعلام ، ومناهج تعليم وقبضة أمن ...
2. وقد اشتدت ممارسة السلطة في استلاب حريات الناس وكرامتهم منذ مجيء الطاغية الأسد ( الأب ) إلى السلطة ، حيث أُحكمت القبضة الأمنية باستلام رموزها لقطاعات المخبرات والأمن والجيش ... مما ساهم بردة فعل عنيفة عند فصيل من الشباب المتحمس استخدموا فيها السلاح - وهم في تصرفهم هذا مخطئون- فانتهدت تلك المجاهمة - بعد أن وقف الشعب معها متعاطفون ومؤيدون- انتهت بإحكام القبضة الأمنية وسحق ( حماة ) وقمع الحريات .. مما ساهم في رفع درجة الخوف عند الشعب إلى ذروته ... نزامن ذلك مع إرخاء حبل الفساد ، والرشوة ، والمحسوبية ... فترعرعت فصائل رجال !! المال والأعمال ، وازداد البؤس والظلم والبطش .
3. ومات الطاغية واستلم الأسد ( الإبن ) يمني الشعب برفع الظلم ومحاربة الفساد وبقي على ذلك ( عقداً ) دون أي إصلاح جاد ، بل برز إلى الساحة ( ملأ ) جديد أكثر طغياناً وفساداً !!

موقف : إذا الشعب يوماً أراد الحياة ( فلا بدّ ) أن يستجيب القدر

بداها ( القاسم الشّابي ) التونسي ، وتابعه الشباب المصري ... وسرت الفكرة إلى باقي المظلومين

- 1) رفع الشعب السوري صوته مطالباً بالحرية المسلوبة ، وبالعدل الضائع ، وبمحاربة الفساد ... لكنه أدرك هذه المرة أن السلاح الذي لا تجيده السلطة هو التحدي بالسلم وأن هذا السلاح أقوى فعالية فنادى ( سلمية ... سلمية ... سلمية )
- 2) تحاول السلطة دفع الشعب لاستعمال السلاح بشتى الوسائل ، فالرصاص الحي وقتل العشرات في بيئة لا ترضى السكوت على هذا التحدي ( درعا ) فاجأت السلطة بصبر الشعب واستمراره بالاحتجاج السلمي ... كما لجأت السلطة إلى وسيلة أخرى عليها تدفع الشعب لحمل السلاح فيعطيها الذريعة للبطش فدست بين الصفوف أزماتها وفعّلوا ، كما يفعل السبئيون في كل عصر ، فكان الشعب أرقى في التعامل معهم ، حيث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

(3) نحن من الشعب ومعه في مطالبه - سلمياً- لرفع الظلم والاستبداد ومحاربة الفساد فليس استمرار القهر أو الأخذ بالتأثر خياراً صالحاً... نحن من الشعب ومعه في عدم الوقوع في مستنقع الطائفية التي لم تكن يوماً ذات بعد استراتيجي يحدد العلاقة بين أبناء شعبنا... نحن من الشعب ومعه في مطالبه ( العلويين ) ألا يكونوا مطية لسلطان الطغاة... إنا من الشعب ومعه نعتقد — وكما قال محمد المختار الشنقيطي - أن السبيل لفتح مسالك المستقبل أمام الشعب السوري الأبي هو الانتقال من ثقافة الإكراه السلطوي والنبذ الاجتماعي إلى ثقافة الإقناع والاحترام...

(4) إن ثقافة شعبنا تنطلق من قيمنا ( يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا ) ، ( مروا بالمعروف وانها عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيب لكم وتستنصروني فلا أنصركم ) ، ( أمة لا تقول للظالم يا ظالم فقد تُودّع منها ) ، ( سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه... فقتله ) ، ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الإيمان... وفي رواية : وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل ) ، " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا "

(5) فبغضّ النظر عما يحتمل أن يدبر للمنطقة من ( سيناريو ) ، فالصراع بين الخير والشر مستمرّ ما بقي الإنسان على الأرض ، والمطلوب أن يبقى الإنسان محافظاً على إنسانيته بما أوتي من عزيمة باليد أو باللسان لأنه لا معنى للحياة بدون الكرامة والحرية... ولا يدع الظالمين والمفسدين في الأرض يصادرونها لمصلحتهم بقولهم " مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ " ، فإن فقد العزيمة حين السقوط في حالة الاستضعاف فلا أقل من الإنكار بالقلب ينقله إلى جيل قادر على الإنكار باليد واللسان ( فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ) وإلا " وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ " .

(6) هل ما يجري في سورية اليوم تغيير أمة ، أم تغيير سنة ، أم ماذا ؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .